

دور اللسانيات العرفنية والتوكيدات اللغوية في تعديل السلوك
The Role of Cognitive Linguistics and Linguistic Affirmations in Behavior Modification

أد، صالح غيلوس ،

جامعة المسيلة

Salah.ghilous@univ-msila.dz

عواطف جغبلو

جامعة بسكرة

aouatefdja2019@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/12/29

تاريخ الارسال: 2025/12/16

ملخص:

تنظر اللسانيات العرفنية إلى اللغة على أنها أكثر من مجرد وسيلة للتعبير، فهي أداة تؤثر في طريقة تفكير الإنسان وإدراكه للعالم من حوله. فالمعنى لا يكون جاهزاً في الكلمات، بل يتكون داخل الذهن اعتماداً على الخبرة والسياق. ومن هنا تبرز أهمية التوكيدات اللغوية، لأنها تساعد الفرد على توجيه انتباهه وإعادة صياغة أفكاره بصورة إيجابية. ومع تكرار هذه التوكيدات وتناسقها مع التجربة الشخصية، يبدأ الإدراك في التغير تدريجياً، وينعكس ذلك على السلوك بشكل طبيعي ومتوازن، مما يجعل اللغة وسيلة فعالة للتغيير النفسي والسلوكي المستدام.

كلمات مفتاحية: المعنى؛ الذهن؛ التصور؛ الإدراك؛ التجربة الشخصية؛

Abstract:

Cognitive linguistics views language as more than a means of expression; it is a powerful tool that shapes the way individuals think and perceive the world around them. Meaning is not embedded in words themselves but is constructed in the mind through experience and context. Within this

دور اللسانيات العرفنية والتوكيدات اللغوية في تعديل السلوك

perspective, linguistic affirmations play an important role, as they help direct attention and reshape thought patterns in a positive way. Through repetition and alignment with personal experience, these affirmations gradually influence perception, which is then reflected naturally and smoothly in behavior, making language an effective means of lasting psychological and behavioral change.

Keywords: Meaning; Mind; Conceptualization; Perception; Personal Experience.

المؤلف المرسل:

1. مقدمة:

التحولات العرفنية التي برزت في النصف الثاني من القرن العشرين، وظهور البرمجة اللغوية العصبية (NLP) كمقاربة متكاملة تسعى لفهم الارتباط الديناميكي بين اللغة والعمليات العصبية، والسلوكيات البشرية. حيث تعتمد على فرضية أساسية مفادها أن الإنسان لا يتفاعل مع الواقع بصورته المباشرة، بل من خلال تمثيلات ذهنية تُعبر عنها اللغة، وتُنشّطها الشبكات العصبية، والتي تتمظهر في السلوك.

فالتوكيدات اللغوية تُعتبر أداة مؤثرة تُستخدم لإعادة تشكيل الخطاب الداخلي للإنسان بوعي وتركيز، حيث تعمل على توجيه انتباهه نحو أنماط تفكير واستجابات جديدة. ضمن إطار البرمجة اللغوية العصبية (NLP)، أما الكلمات فهي ليست مجرد وحدات لغوية عادية، بل هي محفزات تمتلك قدرة على تفعيل شبكات عصبية معينة، مما يحدث تأثيراً مباشراً على المعتقدات والقيم وصورة الإنسان عن نفسه. لذا لا يمكن التعامل مع التوكيدات كعملية تلقائية لتكرار عبارات إيجابية فحسب، بل كاستراتيجية لغوية مدروسة تُبنى وفق فهم دقيق للبنية النفسية والإدراكية للشخص والسياق الذي يعيش فيه. حيث يتكامل هذا التصور مع نموذج طبقات التغيير، الذي يُعتبر من أبرز الأطر التفسيرية في البرمجة اللغوية العصبية. لتقديمه رؤية هرمية لمستويات التحوّل الإنساني، تبدأ من البيئة والسلوك، مروراً بالقدرات والمعتقدات، وصولاً إلى الهوية والبعد

الرسالي. ويوضح هذا النموذج أن التغيير السطحي، رغم تأثيره السريع الظاهري، يظل هشاً إذا لم يكن مدعوماً بتحوّل أعمق في منظومة المعنى التي تُوجه الفعل الإنساني.

1- اللسانيات العرفنية والتوكيدات اللغوية:

تُعَدّ اللسانيات العرفنية من الاتجاهات اللسانية الحديثة التي نشأت في سياق تجاوز التصوّرات البنيوية والتوليدية الصورية، حيث انطلقت من مسلّمة أساسية مؤدّاه أن اللغة ليست نسقاً شكلياً مستقلاً، بل هي نشاط ذهني يتجذّر في الإدراك والخبرة الإنسانية. فاللغة، في هذا المنظور، تُجسّد طرائق الإنسان في تصنيف العالم وبناء المعنى وتأويل التجربة، وهو ما يجعل دراستها متداخلة مع علم النفس العرفني وعلوم الإدراك¹.

وفي هذا الإطار النظري، يحتلّ مفهوم النماذج الإدراكية موقعاً مركزياً في تفسير المعنى اللغوي، إذ تشير هذه النماذج إلى البنى الذهنية التي يعتمدها الإنسان في تنظيم خبراته وتمثيل معارفه وفهم محيطه. ولا يتحقّق الفهم اللغوي، وفق هذا التصوّر، عبر مطابقة مباشرة بين اللفظ والمرجع، بل عبر تفعيل نماذج إدراكية سابقة تعمل بوصفها أطراً تفسيرية توجه عملية التأويل والفهم..).

وقد أبرزت اللسانيات العرفنية أنّ هذه النماذج لا تتسم بالطابع المنطقي الصارم، بل تقوم على مبادئ التقريب والنمذجية، وهو ما يفسّر شيوع الاستعمالات المجازية والاستعارية في اللغة الطبيعية. فالاستعارة، في هذا السياق، ليست آلية بلاغية، وإنما نمط إدراكي يُسهم في بناء المفاهيم المجردة انطلاقاً من خبرات حسية وتجارب ملموسة.

كما تؤكّد الدراسات العرفنية أنّ النماذج الإدراكية متجذّرة في التجربة الجسدية للإنسان، حيث يُنظر إلى الجسد باعتباره مصدراً أساسياً لبناء المعنى، لا عنصراً خارجياً عنه. فالتصورات اللغوية للزمن أو الحركة أو

دور اللسانيات العرفنية والتوكيدات اللغوية في تعديل السلوك

المشاعر، على سبيل المثال، تنبني على خبرات حسية وحركية أولية تُعاد صياغتها ذهنياً داخل الخطاب اللغوي.²

وتتميّز النماذج الإدراكية كذلك بالدينامية وقابليتها لإعادة التشكّل تبعاً لتحوّل الخبرة والسياق الثقافي والاجتماعي. ويُبرز هذا البعد أنّ التغيير في الصياغة اللغوية قد يُفضي إلى تحوّل في زاوية النظر الإدراكية، وهو ما يمنح اللغة وظيفة معرفية تتجاوز الإبلاغ إلى إعادة تنظيم الرؤية والفهم..

2- النماذج البنيّة الذهنية والمعنى اللغوي:

تقوم اللسانيات العرفنية على فكرة أساسية مفادها أنّ المعنى اللغوي لا يسكن الكلمات بذاتها، بل يتكوّن داخل ذهن أثناء الاستعمال والفهم. ومن هنا يبرز دور النماذج البنيّة الذهنية بوصفها الأطر التي ينظّم بها الإنسان خبرته، ويُفسّر من خلالها الخطاب اللغوي. فحين نسمع أو نقرأ عبارة ما، لا نكتفي بتفكيكها نحويّاً، بل نستدعي في أذهاننا تمثّلات ومعارف وتجارب سابقة تساعدنا على إدراك المقصود منها .

وتُفهم هذه النماذج على أنها بناءات معرفية تتشكّل تدريجياً عبر التفاعل مع العالم، ومع الآخرين، ومع اللغة نفسها. فهي نتاج التجربة الحسية، والسياق الثقافي، والممارسة اللغوية اليومية، وليست قوالب ثابتة أو جاهزة. لذلك يختلف فهم الخطاب من شخص إلى آخر، لأن كل متلقٍ يُفعل نماذج ذهنية قد لا تتطابق تماماً مع نماذج غيره، وهو ما يفسّر تنوّع التأويلات واختلاف الدلالات باختلاف الخلفيات المعرفية

وفي هذا السياق، يتبيّن أنّ المعنى اللغوي لا ينشأ من علاقة مباشرة بين اللفظ والشئ في الواقع، بل من علاقة معقّدة بين اللغة والذهن. فالكلمة تُحرّك في ذهن شبكة من تصوّرات والسيناريوهات التي تمنحها دلالتها داخل السياق. ومن ثمّ، لا يكون الفهم عملية آلية، بل نشاطاً ذهنياً يتطلّب مشاركة المتلقي في بناء المعنى واستكمال اعتماده على نماذجه الذهنية الخاصة .

وتتجلى أهمية هذه النماذج الذهنية بشكل أوضح في تفسير المجاز والاستعارة، حيث لا يُنظر إليهما على أنهما أساليب بلاغية ثانوية، بل باعتبارهما آليتين إدراكيتين أساسيتين في التفكير اللغوي. فالإنسان يلجأ إلى خبراته الملموسة لتفسير المفاهيم المجردة، وهو ما يكشف عن الطريقة التي تُسهم بها النماذج الذهنية في تنظيم المعنى وتوسيعه .

كما أنّ هذه النماذج ليست ساكنة، بل قابلة للتغيير والتطور مع تغيير الخبرة والسياق. فالتعديل في الاستعمال اللغوي أو في زاوية النظر إلى حدثٍ ما قد يقود إلى إعادة بناء النموذج الذهني ذاته، وهو ما يمنح اللغة قدرة حقيقية على التأثير في الإدراك وتنظيم الرؤية إلى الذات والعالم³.

3- المعنى ليس معطى جاهزاً:

ينطلق التصوّر العرفي للغة، وفق رؤية الدكتور صالح غيلوس، من فرضية مركزية مفادها أنّ المعنى اللغوي لا يسكن الكلمات أو الجمل بذاتها، بل يتكوّن تدريجياً أثناء عملية الفهم والتأويل. فاللفظ في ذاته لا يحمل دلالة مطلقة، وإنما يكتسب معناها من خلال السياق، والخبرة السابقة، والتفاعل الذهني للمتلقي. ومن هذا المنطلق، يصبح الفهم نشاطاً معرفياً حياً يتداخل فيه الذهن والخبرة مع اللغة في إنتاج الدلالة .

العلاقة بين الخطاب والمعنى ليست علاقة تطابق مباشر، بل علاقة تفاعلية تعتمد على النماذج الذهنية التي يفعلها المتلقي. فعندما يواجه الفرد ملفوظاً ما، فإنه لا يبحث عن معنى جاهز مخزن مسبقاً، بل يعيد بناء الدلالة عبر الاستعانة بمعرفته السابقة، وخبراته الحسية، وسياقه الثقافي، وهو ما يفسر الاختلاف في التأويل بين الأفراد والمجتمعات⁴.

ويظهر الطابع البنائي للمعنى بوضوح في المجاز والاستعارة، حيث يتجاوز المتكلم المعنى الحرفي ليقصد معنى ضمناً أو مؤولاً. فالمجاز ليس انحرافاً عن المعنى الأصلي، بل آلية إدراكية تبيّن أنّ المعنى يُنشأ داخل الذهن

دور اللسانيات العرفية والتوكيدات اللغوية في تعديل السلوك

وفق مسارات معرفية مرنة تعتمد على الخبرة والسياق أكثر من اعتمادها على الدلالة المعجمية الثابتة ..

المعنى ليس ثابتاً، بل قابل للتغيير والتطوير مع تغيير الظروف والسياق الاجتماعي والثقافي. فاللفظ الواحد قد يحمل دلالات مختلفة بحسب السياق أو الخلفية المعرفية للمستمع، مما يدل على أنّ اللغة ليست ناقلة للمعنى بشكل مباشر، بل هي منظومة إشارية يحولها ذهن إلى دلالة وظيفية وفق السياق .

يبرز دور المتلقي في إنتاج المعنى، حيث لا يتحقق الفهم إلا إذا توافرت لدى المتلقي كفاية معرفية وثقافية ولغوية تمكنه من استكمال المعنى الذي يتركه الخطاب مفتوحاً. بذلك، يصبح المعنى نتاجاً مشتركاً بين المتكلم والمستمع، وليس ملكية لأي طرف منفرد⁵.

4- التوكيدات اللغوية والبنية الدلالية:

تعتبر التوكيدات اللغوية أداة محورية لفهم كيفية توجيه الإدراك وإعادة تشكيل المعنى لدى المتلقي، ويكشف الجمع بين منظور اللساني جاكندوف ووجهة نظر الطبيب النفسي ميلتون إريكسون عن أبعاد متكاملة لهذه الظاهرة.

فالبنية الدلالية عند جاكندوف يركّز جاكندوف على أن اللغة ليست مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل هي نظام معقد من البنى الدلالية العميقة التي تُنظّم معنى الجمل والعبارات. وتُبرز التوكيدات اللغوية، وفق رؤيته، قدرة المتحدث على توجيه الانتباه وتحديد عناصر التركيز داخل الخطاب، من خلال استخدام التكرار، الاستعارة، أو ترتيب الكلمات بطريقة مدروسة ، وبذلك تصبح التوكيدات جزءاً من البناء الدلالي نفسه، أي أنها تعمل على إبراز العلاقات بين المفاهيم في ذهن المستمع وتسهيل استدعاء النماذج الذهنية المرتبطة بها.

• التوكيد الدلالي والتأثير النفسي:

التركيب اللغوي للعبارة يشتمل على توكيد وتكرار معنوي (الربط بين الشعور بالقلق والتنفس)، ما يخلق بنية دلالية واضحة في ذهن المستمع، ويُسهل استدعاء التصورات الذهنية المرتبطة بالهدوء والتنفس المنتظم. ومن منظور إريكسون: العبارة تؤثر مباشرة في الإدراك النفسي والسلوك، إذ توجّه الانتباه إلى استجابة جسدية محددة (التنفس)، مما يتيح للمتلقّي تجربة شعور بالتحكّم والهدوء، وبالتالي إعادة برمجة الاستجابة العاطفية تجاه القلق.

هنا يتجلى بوضوح أن التوكيدات اللغوية لا تعمل على مستوى المعنى فحسب، بل على مستوى الإدراك النفسي والسلوكي، ما يجعلها أداة مزدوجة الوظيفة تجمع بين تحليل دلالي دقيق وتوجيه نفسي فعّال.

أما إريكسون فينظر إلى التوكيدات باعتبارها أدوات لإحداث تأثير إدراكي وسلوكي. فهو يوضح أن اللغة لا تؤثر فقط على مستوى المعنى، بل تمتد لتشمل العقل الباطن والاستجابة العاطفية، حيث يمكن توجيه الانتباه الداخلي للمتلقّي وإعادة برمجة استجاباته عبر التكرار، النبذة، أو التركيب اللغوي الاستثنائي. ويؤكد أن المعنى لا يُستقبل سلبياً، بل يُعاد إنتاجه وتفسيره ضمن تجارب المتلقّي وخبراته السابقة.

فهم التوكيدات اللغوية ثنائياً:

هي أداة دلالية تنظم المعنى داخل الجملة، وفي الوقت نفسه أداة نفسية قادرة على توجيه التفكير والإدراك الباطني. هذا الجمع بين التحليل اللساني والتحليل النفسي يجعل التوكيدات محورية في مجالات مثل البرمجة اللغوية العصبية، العلاج النفسي اللغوي، والتعليم الإدراكي، حيث ترتبط البنية الدلالية بالإدراك والتأثير السلوكي.

8- التوكيدات اللغوية وأثرها في الجهاز العصبي والعقل الباطن:

لا تُعتبر التوكيدات مجرد عبارات تحمل معنىً لفظياً فحسب، بل تُعدّ أدوات تؤثر على الجهاز العصبي والعقل الباطن بما يؤدي إلى تغييرات في الانفعالات والسلوكيات وحتى في بعض الاستجابات الجسدية)، هذا التصور ينبع من فهم اللغة بوصفها عملية عقلية معقدة تنشأ في الجهاز العصبي وتشارك في تنظيم الوظائف النفسية والфизиولوجية، بحيث لا يمكن فصل الكلمات عن العمليات العصبية المرتبطة بخبرات الجسم وتجارب الذات⁶.

إن التوكيدات اللغوية، عند تكرارها بوعي وثقة، تعمل على إعادة توجيه طرق معالجة المعلومات داخل الجهاز العصبي؛ إذ تساهم في تعديل التمثيلات الذهنية التي بدورها ترتبط بتحفيز أنظمة الانتباه والتحكم العصبي في الجسم، مثل خفض مستويات التوتر أو تعزيز حالة الاسترخاء، ويُبرز بعض مؤرخي وممارسي البرمجة اللغوية العصبية أن هذا التكرار قد يؤدي إلى تغيير نمط التفسيرات الذاتية والمعتقدات اللاواعية، ما يظهر كتحسن معرفي-سلوكي، رغم أن الدراسات النقدية تؤكد ضرورة توخي الحذر أمام الادعاءات غير المدعومة بأدلة تجريبية قوية حول علاج الأمراض الجسدية مباشرة.

في هذا السياق، يشير بعض المختصين إلى أن التوكيدات يمكن أن تساهم في تنظيم الجهاز العصبي لتحسين الاستجابة في مواجهة بعض المشكلات النفسية أو الإجهاد، إذ تُستخدم كجزء من تقنيات تعديل السلوك والتفكير، وهو ما يضع اللغة في موقع فاعل في ديناميكية العلاقة بين العقل والجسم. ومع ذلك، فقد أثبتت الدراسات النقدية أن النتائج العلاجية المباشرة على الأمراض الجسدية ما تزال محدودة عند الاعتماد على التوكيدات وحدها دون تدخلات علاجية مثبتة

خاتمة:

شهدت اللسانيات العرفنية خلال النصف الثاني من القرن العشرين بروز التوكيدات اللغوية كمقاربة تركيبية تربط بين اللغة، الإدراك، والسلوك الإنساني، في سياق التحولات العرفنية في علوم الإنسان. فهي تفترض أن الإنسان لا يتعامل

مع الواقع كما هو، بل من خلال تمثّلات ذهنية تُصاغ لغويًا وتدعم عصبياً وتظهر سلوكيًا، مما يجعل اللغة أداة مركزية في إعادة بناء الخبرة الإنسانية.

وفي هذا الإطار، تحتل التوكيدات اللغوية مكانة محورية، إذ تعمل على إعادة تنظيم الخطاب الداخلي، توجيه الانتباه، وتحفيز تحوّل تدريجي في التفكير والاستجابة. فهي تؤثر في الجهاز العصبي والعقل الباطن، عبر تعديل التمثيلات الذهنية وتنشيط المسارات العصبية المرتبطة بالانفعالات والتحكم السلوكي

وتتكامل هذه الفكرة مع نماذج طبقات التغيير في NLP ، التي توضح أن التغيير الحقيقي يتطلب إعادة تشكيل منظومة المعنى الكامنة وراء الفعل الإنساني، مما يجعل التوكيدات أداة مزدوجة الوظيفة، تجمع بين البنية الدلالية والقدرة على التأثير النفسي والسلوكي.

الهوامش:

- 1 . عبد السلام الحداد: .مدخل إلى اللسانيات العرفنية . الدار البيضاء ، دار توبقال للنشر (2010)
- 2 - نفسه ، ص25

- 3 . الفاسي الفهري : اللغة والبيئة العرفنية ، منشورات كلية الآداب،الرباط 2004
- صالح غيلوس: دور التصوّر الذهني في تشكيل المعنى ، مجلة العربية، مصر 2020 ، ص753

- دار البدر الساطع، العلة، الجزائر (2020)، ص 56 . - مباحث في اللسانيات العرفنية 5
- ⁶ - ينظر، نفسه، 85